في ذكرى الرافعي*

(ألقيت في الحفل الذي أقيم بجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة يوم ٤ نوفمبر/ تشرين الثاني سنة ١٩٥٧م ، وكان الشاعر في هذا الحفل على موعد مع أول خطاه في سبيل نباهة الذكر، والالتفات إلى فنه، ورعاية مواهبه. . .)

شعر : هاشم الرفاعي
مصر

من جانب الخلد في ظل النبينا ... روح أطلت على أرجاء نادينا
تصغي إلى كلمة التاريخ منصفة ... جرت بها اليوم أقلام الوفينا
وتجتلي صفحة التقدير ناصعة ... من بعد أن طويت بين الورى حينا
قد فات صاحبها التكريم عن حسد ... حيا. فسقناه بعد الموت تأبينا
الحق كالشمس لا تخفي أشعتها ... إلا لتغمر عند الصبح وادينا
وإن أمال موازين الرجال هوى ... عن الصواب فقد ساءت موازينا
كالوا له التهم النكراء قاتلة ... وأرهفوا حوله الأحقاد سكينا
فأغلق السمع دون القوم ثم مضى ... في جانب الحق لا يبدي لهم لينا

* * *

إني لأعجب من شاد به صمم ... قد أسمع الكون تغريدا أفانينا
كانت أناشيده أنغام عزتنا ... ولم تزل معربات عن أمانينا
فهل ترون إذا أصغت لنا أذن ... في أي هاوية باتت أغانينا
مشت إلى الفتنة الرعناء توقظها ... وبالخلاعة تغري النشء تلقينا
من همسة الجنس قد صيغت مراهقة ... ضج المجون بها معنى وتلحينا
يامبدعا لمعاني الخير..مشرقة ... قد مات لكنه أحيا الملايينا
كم بيننا اليوم من حي كتابته ... تميت كل شعور صالح فينا
قد جاء ماقلته في الحب مكرمة ... وهالة من سنى تكسو المحبينا
ولم يكن كتفاهات تسير بنا ... إلى انحلال غوي كاد يطوينا

* الديوان ، ط١ ، مكتبة الحرمين ، الرياض ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م، تحقيق محمد حسن بريغش .

وليس من خط أفكارا تصيدها ... من الفراش، كمن خط المساكينا
تلك الروائع قد خلفتها قمما ... من الفنون جلت أمجاد ماضينا
تألقت في ربا الإسلام معرفة ... وأشرقت في فم الدنيا عناوينا
للدين والضاد قد سطرتها عمدا ... لما عرفتهما أقوى صياصينا
هذا من الذل والأغلال يعصمنا ... وتلك تحفظنا روحا وتكوينا
فهل أتاك حديث القوم حين مضوا ... في مصر يستنكرون الضاد والدينا
ضحالة من ثقافات مرددة ... في الغرب يمشي بها الإلحاد تنينا
وأنفس مرضت، لم يشف علتها ... هدى السماء ولا نصح المداوينا
تبيت يقتلها من جهلها ظمأ ... والماء يجري زلالاً بين أيدينا
ونظرة في كتاب الله واحدة ... يُسقى بها من معين الحق صادينا
ومحنة الضاد مازالت تطالعنا ... بها الصحافة أو تزجى دواوينا
شعر إذا ما حججنا منه قائله ... فبالجمود أو الإغلاق يرمينا
لا تستبين سنا الإلهام فيه ولا ... يرضي العرائس أويرضي الشياطينا
لما بدا قلق الأوزان مضطربا ... فرت على خجل منه قوافينا

* * *

إن اكتفينا بما سقناه تكرمة ... للرافعي فقد قلَّتْ جوازينا
فكرموه بأن تحيا له مُثُل ... عليا إذا هي حيَّت سوف تحيينا

للرافعي أنتسب

يُنْسى كثيرا في الأدب ... أوراق ورد والرسائل التي هي العجب
إيمانه هو السبب ... كلاهما قد أبرزا
كتابه وحي القلم ... الرافعيَّ إذ أحب
ذخيرة بين الكتب ... فالرافعي كاتب
كذاك فيما قد روى ... مفكر فيما كتب
تاريخ آداب العرب ... للرافعيّ أنتمي
فإن أردتم شاهدا ... للرافعي أنتسب
على الجوى الذي كتب

شعر : فاروق باسلامة - السعودية